فريق تفريغ المهندس
علاء حامد

تلخيص تدبر سورة مريم (6)

م. علاء حامد

ALAA HAMED

تلخيص المحاضرة السادسة
تدبر الآيات من (59-72)

الآية: ٥٩ ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾

- **حال من جاء بعد الأنبياء : إضاعة الصلاة واتباع الشهوات**

- والمقصود هم اليهود والنصارى، خصوصًا؛ فالآيات السابقة ذكرت إسماعيل وموسى عليهما السلام وإدريس وغيرهم.

- **الصلاة : أعظم شعائر الدين وخطورة إضاعتها على حياة الإنسان ودينه**

- فإذا فرّط فيها كان ذلك دليلًا على بداية ضياع علاقته بالله، لأنها عمود الدين ومن أعظم ما يحافظ عليه المؤمن لذلك عبّر الله عن حال من ضلّوا بقوله: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لأن تضييع الصلاة يجرّ إلى تضييع كثير من معاني الدين والطاعة.

- وليس المقصود أن كل من وقع منه تقصير في الصلاة يُحكم عليه بالخروج من الدين، وإنما المقصود بيان خطورة إضاعتها؛ فهي علامة على ضعف الصلة بالله، وقد تجرّ إلى التفريط في كثير من الطاعات.

- إذا هانت الصلاة على الإنسان فقد هان عليه أمر دينه، وأصبح عرضة للتفريط في غيرها؛ لأن الله سبحانه وتعالى قرن بين إضاعة الصلاة وبين اتباع الشهوات، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾

- فالصلاة هي الحاجز الذي يحمي الإنسان من الانجراف وراء الشهوات، ومن أعظم ما يحفظ على الإنسان دينه وثباته عليه.

- وقد بيّن النبي ﷺ مكانة الصلاة وعظيم شأنها، فقال:

«لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلام عُرْوَةً عُرْوَةً، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة».

- عُرى الإسلام: أي الروابط والخصال التي يتمسك بها الناس من أمور الدين وقد يضعف التمسك بها شيئًا فشيئًا، حتى تُنقض عروة بعد عروة، فإذا بدأ الناس في التفريط في واحدة منها، تبعتها الأخرى حتى تضعف صلة الناس بدينهم.

« فأولهن نقضًا الحكم ».

- أي : التحاكم إلى شرع الله سبحانه وتعالى، والرجوع إلى أحكامه في حياة الناس.

وقد ضَعُف التحاكم إلى الشرع واستُبدلت بعض الأحكام بغيرها.

« وآخرهن الصلاة ».

- أي : أن الصلاة من آخر عُرى الإسلام التي تُنقض.

◆ الخلاف في حكم تارك الصلاة .

اختلف أهل العلم في حكم تارك الصلاة: هل هو كافر كفرًا أكبر أم كفرًا أصغر؟

- لا ينبغي أن يُفهم من قول بعض العلماء بأنه كفر أصغر أن الأمر هين أو أن ترك الصلاة أمر يسير؛ فحتى على هذا القول يبقى تارك الصلاة واقعًا في ذنب عظيم، وليس من أهل الصلاح.

- فترك الصلاة ليس أمرًا بسيطًا، بل هو من أعظم الجرائم في الإسلام، لما للصلاة من مكانة عظيمة، ولذلك كان التفريط فيها خطرًا شديدًا على دين الإنسان.

- فلنحافظ على صلاة الفجر، فهي من أعظم الصلوات شأنًا؛ فالعبرة ليست فقط بالمحافظة عليها في رمضان، بل بالثبات عليها طوال العام.

- فلا يجوز التهاون بها أو السهر الذي يؤدي إلى تضييعها؛ لأن الصلاة المطلوبة هي التي تُؤدّى في وقتها قبل طلوع الشمس، وتأخيرها بلا عذر تفريط عظيم.

- من إضاعة الصلاة أن يؤخر الإنسان الصلوات عن أوقاتها عمدًا، ثم يجمعها كلها عند رجوعه، فالمطلوب هو أداء كل صلاة في وقتها، وليس تأخيرها حتى يخرج وقتها.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

- تركها بالكلية، أو التهاون كتأخيرها عن وقتها، أو جمعها بدون عذر، وكلاهما تفسير محتمل.

- وإن كان ترك الصلاة بالكلية أشد، لكن تضييع الأوقات أمر سيئ؛ لأن الله سبحانه وتعالى توعد عليه، فقال:

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ (٥)﴾(الماعون)

- أي : ساهون عن وقتها.

- الصلاة الحقيقية التي تنهى عن الفحشاء والمنكر

- فالإنسان طالما كان يقيم الصلاة فهو في رعاية الله سبحانه وتعالى.

- فعندما أضاع هؤلاء الصلاة، سقط عنهم الحاجز الذي يحول بينهم وبين الشهوات.

ومن صلى الفجر فهو في ذمة الله، يحميه من الشبهات، ويحميه من الشهوات

- فإذا أقام الإنسان الصلاة إقامة صحيحة، فسيجد أثرها في حياته وفي كل شيء.

لذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾

- فقيل : إذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء والمنكر فأنت لم تصلِّ.

- كيفية إقامة الصلاة والخشوع فيها

- تعلم كيفية إقامة الصلاة

المقصود ليس مجرد أداء الصلاة، وإنما إقامتها بحقها بخشوع وحضور قلب؛ فهذه هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتحمي الإنسان من الشهوات.

- دروس نص الشيخ بالاستماع إليها:

- "أبطال المحراب"
- "كيف أخشع في صلاتي"
- "استمتع بحلاوة الصلاة"

- بداية طريق الالتزام: الصلاة والقرآن

- غالبًا ما تكون بداية طريق الالتزام مرتبطة بأمرين أساسيين: الصلاة والقرآن؛ فهما الأساس الذي يغيّر الإنسان من الداخل، ويقودانه تدريجيًا إلى ترك ما لا يرضي الله والسير في طريق الهداية.
- ولهذا عند دعوة شخص جديد إلى الالتزام، لا يكون التركيز أولًا على أخطائه أو عاداته السابقة، وإنما يُوجَّه إلى أن يحافظ على الصلوات الخمس ويقيمها بحقها، مع ربطه بالقرآن ومجالسه، وتعليمه معاني الآيات وتحبيبه فيها، دون إثقاله بكثرة الأوامر في البداية.

- ومع الوقت، تُحدث الصلاة والقرآن أثرهما في قلبه، فيترك الشهوات والعادات الخاطئة تدريجيًا من تلقاء نفسه، ويتغير حاله إلى الأفضل.

◆ **دور الشيطان في إضاعة الصلاة**

- يستغل الشيطان ضعف الإنسان، فيوهمه بأنه لا يصلح لطريق الالتزام، حتى يدفعه إلى ترك الصلاة والتفريط فيها.
- وإذا وقع الإنسان في شهوة أو ضعف، فالعلاج أن يزداد قربًا من الله، فيُحسن صلاته، ويُكثر من السنن والنوافل؛ لأن الصلاة الصحيحة تعينه على مقاومة الشهوات.

- ومع الإكثار من النوافل ينال العبد محبة الله ومعونته؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي :

« وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...».

- فيعينه الله ويوفقه للثبات ومجاهدة نفسه.

◆ **الصلاة شرط أساسي في الزواج**

- من أهم ما يُراعى عند اختيار شريك الحياة: المحافظة على الصلاة؛ لأن من ضيّع حق الله قد يُفرّط في حقوق غيره.
- فلا ينبغي التساهل في أمر الصلاة، فهي من أعظم علامات الاستقامة والصلاح.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾

- فالشهوات تشمل كل ما قد يفتن الإنسان ويبعده عن طاعة الله، مثل: النساء، والمال، والجاه، وطلب الحرام بمختلف صوره.

﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾

- وردت عن السلف أقوال في معنى الغي، منها:

- الغي بمعنى الخسران.
- الغي بمعنى الشر.
- وقيل : هو وادٍ في جهنم خبيث الطعم، بعيد القعر.
- وقيل : هو وادٍ في جهنم مليء بالقيح والدم.

- وهذه الأقوال تدور حول معنى واحد: أن الغي نوع من العذاب الشديد؛ فمن وقع فيه خسر وأصابه شر عظيم.

- فليستحضر الإنسان دائمًا عاقبة التفريط والانشغال بالشهوات، وليجعل ذلك سببًا يحميه من الوقوع فيها.

المقصود باستحضار العاقبة وأثر الغيب في قرارات الإنسان

- لماذا نضعف أمام الشهوات؟ بسبب ضعف استحضار العاقبة

- الإنسان بطبيعته يتأثر بما يراه أمامه، أما أمور الغيب كالجنة والنار فلا يراها في الدنيا؛ لذلك يحتاج إلى قوة إيمان وتدبر حتى يستحضر حقيقتها، فتؤثر في اختياراته وتمنعه من الوقوع في المعاصي.

- فالمشكلة ليست في الإيمان بوجود الجنة والنار، وإنما في ضعف استحضارهما؛ فقد ينشغل الإنسان باللذة القريبة التي يراها، وينسى العاقبة التي تنتظره عند الله.

- مثال توضيحي:

- لو عُرض على شخص أن يفعل ما يشاء من المحرمات لمدة أربع وعشرين ساعة، بشرط أن يدخل فرنًا ويحترق فيه آخر خمس دقائق فقط، فغالبًا لن أن يقبل هذا العرض؛ لأنه رأى النار أمامه واستحضر عاقبتها.

- مع أن المدة قصيرة مقارنة باليوم كله، إلا أن رؤية العاقبة جعلته يرفض الأمر تمامًا.

- وهكذا حال أمور الآخرة؛ فلو استحضر الإنسان حقيقة النار وعذابها كما لو كانت أمام عينيه، لكان ذلك أعظم ما يمنعه من اتباع الشهوات والتفريط في طاعة الله.

- وقد يظن الإنسان أن متاع الدنيا يستحق اتباع الشهوات، لكن الله تعالى قال:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ (الزخرف: ٨٣)

- فمتاع الدنيا مهما طال فهو قليل، أما عاقبة العذاب فهي عظيمة وممتدة، وهذه هي العاقبة التي ينبغي للإنسان أن يستحضرها.

- خطورة أن يختار الإنسان لذة مؤقتة وينسى العاقبة الباقية

قال النبي ﷺ:

«يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيُغمس في النار غمسة، فيقال له: هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول: لا وعزتك، ما رأيت نعيمًا قط».

- مجرد غمسة واحدة في العذاب تجعله ينسى كل نعيم عاشه في الدنيا.

- الخسران الحقيقي: لذة مؤقتة وعاقبة عظيمة

- لذات الدنيا زائلة ومنغصة، أما عاقبة اتباع الشهوات المحرمة فهي الخسران. لذلك يهون على المؤمن ترك المعصية وتحمل أذى الدنيا؛ لأن أول نعيم يلقاه في الجنة يُنسيه كل تعب وألم.

- استحضار الجنة يعين على الصبر

- استحضار نعيم الجنة يجعل الإنسان يتحمل مشقة الطاعات؛ فيصبر على قيام الليل، وكثرة الصلاة، وقراءة القرآن؛ لأنه يعلم أن التعب في الدنيا مؤقت، وأن وراءه نعيمًا عظيمًا.
- فالإنسان يتحمل التعب من أجل مكافأة دنيوية كبيرة، فكيف إذا استحضر ثواب الجنة؟ عندها تهون عليه المشقة، ويزداد حرصه على الطاعات

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

- " فَسَوْفَ " تدل على التراخي أي أن الأمر مؤجل. سيتركهم الله في الدنيا، ينعمون بالشهوات، ويمهلهم إلى الأجل الذي قدره، ثم يلقون جزاءهم.

• وقد لا يُرى جزاء الكافر كاملًا في الدنيا، وإنما يكون الجزاء الأعظم في الآخرة.

الآية: ٦٠ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾

- التوبة هي من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.لقد تاب الله على النبي ﷺ، والمهاجرين والأنصار.

- القرآن دائمًا يجمع بين الخوف والرجاء، فتقشعر الجلود عند سماع الوعيد، ثم تطمئن عند سماع آيات الرحمة والتوبة

-الرجاء ليس مجرد تمني دخول الجنة، بل مرتبط بشروط: التوبة الصادقة، والإيمان الصحيح، والعمل الصالح.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾

- بدأ الله بذكر التوبة؛ لأنها طريق الرجوع إلى الله، وبابها مفتوح لكل أحد، ليست لفئة معينة، بل تشمل كل من رجع إليه مهما كان ذنبه أو بعده.

بل فتح الله باب التوبة لأشد الناس سوءًا؛ المنافقين والكفار

وحتى الذين آذوا المؤمنين وفتنوهم، فلو تابوا لتاب الله عليهم.

﴿وَءَامَنَ﴾

- لا بد أن يتعلم المسلم عقيدته، فالإيمان يحتاج إلى تعلُّم ومعرفة؛ **فيتعلم المسلم أصول الإيمان :** معنى الإيمان بالله، والقدر، والرسل، وغيرها من مسائل العقيدة؛ حتى يحقق معنى الإيمان على بصيرة.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾

شروط العمل الصالح: أن يكون خالصًا لله تعالى، وأن يكون موافقًا لهدي النبي ﷺ.

- فالعمل الذي يدخله الرياء لا يُقبل، والبدع التي تخالف هدي النبي ﷺ ليست من العمل الصالح؛ قال النبي ﷺ:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وقال الله في الحديث القدسي:

«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

- فحتى يُقبل عمل الإنسان، لا بد أن تكون توبته صادقة، وأن تكون أعماله خالصة لله وموافقة لسنة النبي ﷺ.

- **لا تستعظم ذنبك على الله**

أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون يدعوه إلى التوبة، فقال:

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩)﴾ (النازعات)

فباب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب، ولو تاب فرعون وقارون وغيرهما لقبل الله توبتهم.

- فليكن للعبد رجاء في رحمة الله.

- فليبدأ الإنسان بمراجعة نفسه، ويحدد ذنوبه وتقصيره، ثم يعزم على ترك المعاصي والالتزام بالطاعات.

- فالتوبة الحقيقية تكون بترك محرمات محددة، والالتزام بطاعات محددة، وأخذ خطوات عملية وترك ما لا يرضي الله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾

- أي أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم عباده، فما عملوه من الخير لا يضيع ولا يُنقص منه شيء، فتُمحى السيئات عن التائب والحسنات باقية لا تضيع.

- ومن أسلم بعد كفره، فإن الخير الذي فعله قبل الإسلام يبقى وتمحى سيئاته.

- لما جاء عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى النبي ﷺ يريد الإسلام، مد يده ليبايع، ثم سحبها. فسأله النبي ﷺ:

«ما لك يا عمرو؟» فقال: يا رسول الله، كان لي أعمال صالحة فعلتها في الجاهلية، فسأله عن أعماله السابقة فقال له النبي ﷺ: «يا عمرو، أسلمت على ما أسلفت من خير».

- أول ما يبشّر الله به أهل الجنة أنها دار إقامةٍ لا موت فيها ولا زوال.

الآية: ٦١ ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾

- عدن تعني: إقامة.

- أي: جنات إقامة واستقرار، عظيمة كثيرة النعم.

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾

- ومن أعظم ما ينبغي أن يحققه المؤمن قوةُ التصديق بوعد الله، وأن يستحضر العبد دائمًا أنه موعود بهذا الوعد، وأنه سيلقاه لا محالة

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾

- يعني أن وعد الله واقع لا محالة، فالله لا يخلف وعده.

◆ سعة نعيم الجنة

- يقول آخر المؤمنين خروجًا من النار : "الحمد لله الذي نجاني منك". ثم يقربه الله سبحانه وتعالى من الجنة، فيطلب أن يُدنى منها، ثم يطلب الدخول إليها.فيقول الله تعالى له : ادخل يا عبدي. فيتعجب الرجل ويقول : يا رب، كيف أدخل وقد أخذ الناس منازلهم ونزلوا منازلهم؟ فيقول الله تعالى له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: يا رب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول الله سبحانه وتعالى: قد رضيت لك ذلك ومثله ومثله ومثله وعشرة أمثاله.

- أقل أهل الجنة منزلة له مثل ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله.

- وصف النبي ﷺ بيت المؤمن في الجنة بأنه كاللؤلؤة المجوفة، واسعٌ عظيمٌ لا يشبه مقاييس الدنيا.

الآية: ٦٢ ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾

- أي : لا يسمعون فيها لغوًا ولا كلامًا باطلًا أو مؤذيًا.

- وقيل: هو الكلام الفاحش السيئ البذيء الذي يؤذي.

- وقيل: الكلام الذي لا فائدة فيه.

﴿سَلَٰمٗاۖ﴾

- يسمعون الكلام الطيب الجميل،

- ومن نعيمهم أنهم يتلقون السلام من ربهم سبحانه وتعالى.

﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٤٤)

- والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويقولون:

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد:٢٤)

- من صور الشقاء في الدنيا التي نُزِّه عنها أهل الجنة:

1. أن يعرّض الإنسان سمعه للكلام البذيء وما يفسد القلب والأخلاق.
2. أن ينشغل بالأفلام والمسلسلات التي تشتمل على الفواحش وسوء الأخلاق والإيحاءات المحرمة.
3. أن يستمع إلى الأغاني التي تثير الشهوات وتخدش الحياء.
4. أن يضيع وقته فيما لا ينفعه في دينه أو دنياه.
5. أن يجلس في مجالس الغيبة والنميمة وما يترتب عليهما من فساد القلوب والعلاقات بين الناس.

﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا﴾

- كل ما تشتهي من طعام وشراب وقصور وأنهار وما تريد.

﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾

-معنى بكرة وعشيًا أي : على قدر ما يعرفونه من مقادير الأوقات. فليس في الجنة ليلٌ أو نهارٌ على الصورة التي نعرفها في الدنيا، فلا شمس فيها ولا قمر، ولا حرٌّ مؤذٍ ولا بردٌ شديد، كما قال تعالى:

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ (الإنسان: ١٣)

- فكيف يُعرف مرور الوقت فيها؟

- ذكر أهل العلم أن أهل الجنة يعرفون أوقاتهم بالتقدير. فيجعل الله لهم علامات يعرفون بها أن مقدار النهار قد مضى، وأن مقدار الليل قد مضى، وأن يومًا كاملًا قد انقضى.
- فالجنة دارٌ تختلف أحوالها عن أحوال الدنيا، وليس فيها ما يعكر النعيم أو يؤذي أهله، بل هي نعيمٌ كاملٌ دائمٌ لا يشبه ما نعهده في هذه الحياة.

الآية: ٦٣ ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾

- الجنة تحتاج إلى ثمن: التقوى والعمل

عن النبي ﷺ قال:

«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة».

- يقول البعض: ما دام الإنسان مسلمًا ويقول: لا إله إلا الله، فسيدخل الجنة برحمة الله، إذن لا فرق بين من عمل ومن لم يعمل.

- هذا فهم غير صحيح؛ فقد قال الله تعالى:

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(الزخرف: ٧٢)

- فكيف نجمع بين ذلك وبين قول النبي ﷺ إن دخول الجنة يكون برحمة الله؟

- الجواب: أن العمل هو السبب الذي ينال به العبد رحمة الله، ورحمة الله هي التي تُدخله الجنة؛ فالعمل سبب، والرحمة هي الفضل الأعظم.
- أعمال العباد مهما عظمت لا تساوي نعيم الجنة، وإنما يتفضل الله على عباده برحمته، ويجعل أعمالهم سببًا لاستحقاق هذه الرحمة؛ فالرحمة تُطلب بالإيمان والعمل الصالح.

الآية : ٦٤ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾

- ورد إن سبب نزول الآية أن النبي ﷺ كان يقول لجبريل عليه السلام: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟
- أي: ما يمنعك من زيارتنا بصورة أكثر؟

فجاء الجواب من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾

- فالله سبحانه وتعالى، هو الذي يأذن لهم بالنزول متى شاء، وكيف شاء.

◆ الانقياد لله: درس من جبريل عليه السلام

- فالله سبحانه وتعالى يضرب لنا مثالًا في طاعة الملائكة لأمره، وأعظم ذلك جبريل عليه السلام، فمع عظيم منزلته، ومحبة النبي ﷺ للقاءه ، لم يكن جبريل ينزل إلا بإذن الله، وهذه هي العبودية الحقيقية: الانقياد لأمر الله في كل شؤونه؛ فلا يفعل إلا ما يرضيه، ولا يقول إلا ما يحبه، ولا يسير إلا في الطريق الذي شرعه.

- فهل جعلت طاعة الله عنوان حياتك؟أن تكون اختياراتك، وأقوالك، وأفعالك، وفق ما أمر الله به؟

💎 قال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (رواه أبو داود).

- فالأولى أن نقتدي بالملائكة في طاعتهم وانقيادهم لله.

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾

- الله المالك لكل شيء سبحانه وتعالى.

قيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾

قيل: إنها الدنيا.

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ قيل: الآخرة.

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ قيل: ما بين النفختين.

◆ بين الدنيا والآخرة نفختان:

النفخة الأولى: التي يصعق فيها الخلق إلا من شاء الله.

النفخة الثانية: نفخة البعث، حيث يقوم الناس من قبورهم للحساب.

- **القول الثاني:**

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ **يعني: ما سبق من الدنيا.**

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ **يعني: الآخرة،**

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ **يعني: ما سيأتي من الدنيا إلى أن نصل إلى الآخرة.**

- **القول الثالث:**

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ **يعني: الأرض،**

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ **يعني: السماء،**

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ **يعني: ما بين السماء والأرض.**

- الجامع بين هذه الأقوال ملك الله لجميع الأزمنة والأمكنة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

- أي : أن تأخر نزوله لم يكن نسيانًا من الله، بل كان بأمره وحكمته.

وفيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عن النسيان.

◆ **الأدب مع الله في كل حال وخاصة عند السؤال**

- **هو أن يسأل الإنسان ليفهم ويتعلم، لا ليعترض أو يتهم الله بعدم الحكمة أو العدل. فالسؤال جائز، لكن ينبغي أن يكون مقرونًا بالإيمان بأن الله حكيم وعليم، وأن أفعاله كلها حق وعدل.**

الآية : ٦٥ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾

- هذا أمر للنبي ﷺ، ونحن مقصودون بهذا الأمر أصلًا.

﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ﴾

- الاصطبار أبلغ من الصبر

أي: اصبر صبرًا شديدًا مستمرًا.

- قاعدة في اللغة

الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

◆ إن سلعة الله غالية

- فالعبادة تحتاج إلى مجاهدة النفس وتوطينها على الثبات والاستمرار في الطاعة بالمحافظة على الدين والحجاب والثبات على الطاعة وسط الفتن تحتاج إلى مجاهدة واستعداد دائم.

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾

-استدلال على استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة؛ فهل تعلم لله سبحانه وتعالى مثيلًا أو نظيرًا أو مكافئًا؟

﴿سَمِيّٗا﴾ فيها قولان:

الأول: أن تكون من السمو، أي المنزلة والقدر.

الثاني: أن تكون من التسمية؛ بمعنى: هل تعلم أحدًا سُمّي باسم الله أو باسم الرحمن قبل ذلك؟

- لا يوجد أحد يماثل الله سبحانه وتعالى أو يساويه، ولذلك فهو المستحق وحده للعبادة.

- الآية: ٦٦ ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا﴾

◆ تنتقل السورة هنا إلى محور جديد؛ فبعد عرض نماذج الأنبياء والصالحين، تتناول موقف المعاندين لهم، فتذكر شبهاتهم واعتراضاتهم، ثم ترد عليها ردًّا محكمًا يبيّن بطلانها.

◆ التكذيب بالبعث

- إن الإيمان بالبعث من أعظم ما يوجّه سلوك الإنسان؛ فيستشعر معه مسؤولية أعماله وعاقبتها، فيراقب نفسه ويزن تصرفاته بميزان الحساب والجزاء؛ فيحرص على الطاعة ويجتنب المعصية، فلا يسرق أو يزني أو يظلم.

• أما منكر البعث، فلا يؤمن بحياةٍ بعد الموت ولا بحسابٍ ينتظره، فيسهل عليه التهاون بالحدود والقيم. ولهذا قال تعالى:

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ (القيامة: ٥)

-إشارة أن الدافع وراء الإنكار قد يكون الرغبة في التحرر من تبعات المسؤولية.

الآية:٦٧ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾

- ردّ الله على منكري البعث بالخلق الأول

- فالذي أوجد الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته، بل إن من قدر على الابتداء لا يعجز عن الإعادة.

- يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

" كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"

- فبعث الخلق بعد موتهم ليس بأعجب من خلقهم أول مرة، ومن أوجدهم ابتداءً قادر على إعادتهم للحساب.

- أدلة البعث في القرآن الكريم

لإزالة الشك وترسيخ اليقين، ومن أبرز هذه الأدلة:

الدليل الأول : الاستدلال بالخلق الأول، فمن أوجده من العدم قادر على إعادته بعد الموت. قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (قٓ: ١٥)

- قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يسٓ: ٧٩)

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يسٓ: ٨٢)

الدليل الثاني: الاستدلال بخلق السماوات والأرض

استدل الله تعالى بخلق السماوات والأرض، وهي أعظم من خلق الإنسان، على قدرته على البعث،قال تعالى:

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (يسٓ: ٨١)

الدليل الثالث : وقوع نماذج من البعث في الدنيا؛ كإحياء الموتى في الحياة الدنيا ؛

• قصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، قصة أصحاب البقرة، قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وبني إسرائيل بعد الصاعقة، وقصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور، وأصحاب الكهف. وكلها تؤكد أن الذي أحيا الموتى في الدنيا قادر على إحيائهم يوم القيامة.

الدليل الرابع : إحياء الأرض بعد موتها؛ بإحياء الأرض الجافة بعد نزول المطر، قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف: ٥٧)

الدليل الخامس : الدليل العقلي؛ فيقتضي العدل الإلهي وجود يوم يُحاسَب فيه الخلق؛ إذ لا يستقيم أن يتساوى المحسن والمسيء، والمؤمن والكافر. قال تعالى:

﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (القلم: ٣٥)

- فالبعث ضرورة يقتضيها العدل والحكمة.

الآية: ٦٨ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ تهديد ووعيد، قسم من الله تعالى.

﴿لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾

- يُجمع بين التابع والمتبوع في مصير واحد، بإهانة وتوبيخ.

﴿جِثِيّٗا﴾ - جالسين على رُكَبهم، دليل الذل والخضوع والمسكنة.

الآية: ٦٩ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾

- **أي:** يجمع الله كل جماعة حول جهنم، كل طائفة مع بعضها؛ فاليهود مع اليهود، والنصارى مع النصارى، وكل ملة تُجمع مع أهلها.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾

- ليس دخولًا عاديًّا، بل يُنتزعون انتزاعًا بسبب شدة جرمهم.

- يبدأ بأشد الناس عتوًّا وأكبرهم جرمًا، أفواجًا؛ يبدأ أولًا بأشد المجرمين ثم من هو أقل منهم.

﴿عِتِيّٗا﴾

- أي : أشدهم تجاوزًا للحد، وتمردًا على أمر الله سبحانه وتعالى.

- الآية: ٧٠ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾

أي : نحن أعلم بمن هو أحق بدخول النار ومقاساة عذابها.

- الله سبحانه وتعالى أعلم بمن يستحق العقاب، فلا يجوز للإنسان أن يعترض على أحكامه بغير علم. ودور العبد أن يعمل الصالحات، ويسأل الله الهداية والسلامة، ويؤمن بحكمة الله وعدله؛ فهو أعلم بقلوب عباده وأحوالهم.

- الآية: ٧١ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾

﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾

- اختلف أهل التفسير على قولين :

- القول الأول : أن الورود بمعنى المرور والإشراف والقرب، وليس الدخول.

- أي يقتربون منها ويشرفون عليها، وليس المقصود أنهم يدخلونها.

الورود في اللغة قد يأتي بمعنى الوصول والقرب، وليس بالضرورة الدخول.

- من ذلك قول الله تعالى عن موسى عليه السلام :

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ (القصص: ٢٣)

- أي بلغ الماء ووصل إليه.

• واستدل أصحاب هذا القول بأن الله ذكر بعد ذلك نجاة المتقين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾

- فقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ذكر نجاة المتقين، وهذا يدل على أن الورود ليس المقصود به الدخول في النار؛ لأن المتقين يُنَجَّون منها.

- وكذلك فسروا الورود بالمرور على الصراط؛ لأن النبي ﷺ وصف الصراط بأنه منصوب على جهنم، ويمر الناس عليه بأعمالهم.

• واستدلوا أيضًا بأحاديث النبي ﷺ التي تدل على أن بعض أهل الإيمان لا يدخلون النار.

فقال النبي ﷺ: «إن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

وقوله ﷺ:«لن يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية».

• ولا تعارض بين هذه الأحاديث وبين الآية.

- وعلى هذا القول يكون معنى الورود: المرور على الصراط؛ لأن الصراط يُضرب على متن جهنم، ويمر الناس عليه بقدر أعمالهم.

- فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي، ومنهم من يتعثر، ومنهم من يقع فيها.

- ومنهم من ينجو سالمًا، ومنهم من يُخدش ثم ينجو، ومنهم من يسقط فيها.

القول الثانى : أن الورود بمعنى الدخول؛ فجميع الناس يَرِدون النار، أي يدخلونها.

• واستدلوا بأن كلمة الورود تأتي في القرآن بمعنى الدخول في مواضع متعددة.

ومن ذلك قول الله تعالى عن فرعون:

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ (هود: ٩٨)

- أي: أدخلهم النار.

وقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(الأنبياء: ٩٩)

• وقال أصحاب هذا القول : إن دخول المؤمنين النار لا يعني عذابهم فيها؛ لأن الله سبحانه وتعالى يجعلها عليهم بردًا وسلامًا كما جعل نار إبراهيم عليه السلام بردًا وسلامًا.

- ثم يخرجون منها، بينما يبقى الظالمون فيها، وكذلك بعض عصاة المسلمين الذين لم يغفر الله لهم، ثم يخرجون منها برحمة الله.

- الآية: ٧٢ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾

- درجات مرور الناس على الصراط تكون بحسب أعمالهم وتقواهم؛ فكلما عظمت تقوى العبد كان مروره أسرع وأسهل.

- المؤمن إذا دخل النار لا يخلد فيها*، بل يعاقب بقدر ذنوبه ويمكث فيها ما شاء الله، ثم يخرج منها إلى الجنة.

وأما الكافر والمنافق فيدخلان النار ولا يخرجان منها أبدًا.

- **الحكمة ذكر الجنة والنار: أن يتحرك القلب، ويزداد خوفًا ورجاءً، فيدفع الإنسان إلى التوبة والطاعة والعمل الصالح، ويكون ذلك سببًا لرفع الهمة والاجتهاد في مرضاة الله.**

- **نسأل الله أن يجعل ذكر الجنة سببًا لزيادة العمل الصالح، وأن يجعل ذكر النار سببًا للخوف منها والابتعاد عنها.**

قال النبي ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم».

- أي أن الملائكة تبحث عن مجالس الذكر، فإذا وجدت قومًا يذكرون الله نادت بعضها بعضًا وأقبلت إليهم. «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا».

- أي أن الملائكة تحيط بأهل الذكر بأجنحتها حتى تصل بهم إلى السماء الدنيا.

«فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم -: ما يقول عبادي؟ يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك». «هل رأوني؟» فيقولون: «لا والله ما رأوك». فيقول: «فكيف لو رأوني؟» فيقولون: «لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا». قال: «فما يسألوني؟» قالوا: «يسألونك الجنة». قال: «وهل رأوها؟» قالوا: «لا والله يا رب ما رأوها». قال: «فكيف لو رأوها؟» قالوا: «لو رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة». قال: «فممَّ يتعوذون؟» قالوا: «من النار». قال: «وهل رأوها؟» قالوا: «لا والله يا رب ما رأوها». قال: «فكيف لو رأوها؟». قالوا: «لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة». قال: «فأشهدكم أني قد غفرت لهم». فيقول ملك من الملائكة: «فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة». فيقول الله: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

- أي أن من جلس معهم نال بركة مجالسهم وشملته مغفرة الله بسببهم.

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء القوم، وأن يجعلنا من أهل الذكر

وأن تكون هذه المعاني التي سمعناها سببًا للعمل الصالح وعلو الهمة.